

غياب الطلبة عن المحاضرات الجامعية: دراسة تحليلية للأسباب وسبل الحد منها.

يوسف عمر

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي /تبسة، (الجزائر)

youcef.amor@univ-tebessa.dz

ملتقى: ظاهرة غياب الطلبة عن المحاضرات وانعكاساتها على جودة التعليم الجامعي

الملخص:

تُعد ظاهرة غياب الطلبة عن المحاضرات إحدى التحديات المستمرة التي تواجه الجامعات، وهي نتاج تفاعل معقد بين عوامل شخصية وأكاديمية وبيئية واجتماعية. فغياب الانضباط أو ضعف الشعور بالمسؤولية لدى بعض الطلاب، إلى جانب الظروف المادية والصحية، يشكل عاملا مباشرا في انخفاض نسب الحضور، فيما تؤثر طرق التدريس التقليدية وعدم ملائمة المناهج وأساليب التقييم على تحفيز الطلاب ومشاركتهم الفعلية. كما تلعب العوامل الخارجية دورا محوريا، حيث تؤدي الأوضاع الأمنية المتدهورة والمسافات الطويلة وارتباك وسائل النقل إلى زيادة معدلات الغياب، فيما يستلزم التكيف مع نظام التعليم الجامعي وبخاصة الجديد منه، وتأطير الأساتذة وتدريبهم على أساليب حديثة لضمان فعالية التعليم. ومن هذا المنطلق، يبدو أن معالجة الظاهرة تتطلب مقاربة شاملة تشمل تعزيز شعور الطلاب بالمسؤولية والانضباط، وتقديم المرافقة البيداغوجية، وتحفيز الأساتذة على تقديم المادة بأسلوب جذاب، وربط الحضور بالتقييم، فضلا عن تحسين البنية التحتية والنقل وتوفير الدعم المالي والأمني، بما يضمن انتظام الطلاب وتعزيز جودة التعلم في بيئة أكاديمية محفزة وفعالة.

الكلمات المفتاحية:

غياب الطلبة؛ العوامل المؤثرة؛ التعليم الجامعي، حضور المحاضرات

مقدمة:

تتباين المراحل التعليمية في وظائفها وأدوارها التربوية، غير أنّ المرحلة الجامعية تتبوأ اليوم مكانة الصدارة ضمن النسق التربوي، لما تضطلع به من دور محوري في إنجاح مشاريع التنمية وبناء الكفاءات البشرية. فهي الفضاء الأمثل لتمكين الطلبة من تحصيل المعارف واكتساب الخبرات المتنوعة التي تُسهم في إحداث تحوّل إيجابي مرغوب في سلوكهم وشخصياتهم. غير أنّ هذه المرحلة، على الرغم من أهميتها البالغة، تواجه جملةً من الإشكالات والظواهر السلوكية السلبية التي من شأنها أن تعيق السير الطبيعي للعملية التعليمية وتحدّ من فاعليتها.

وتُعدّ ظاهرة الغياب عن المحاضرات الجامعية من أبرز هذه الإشكالات التي تفاقمت في الآونة الأخيرة، ولا سيما في المجتمع الجزائري، حيث لوحظ عزوف شريحة من الطلبة عن المواظبة على الحضور، وتعاملهم مع الغياب بقدر من اللامبالاة، دون وعي كافٍ بما يترتّب عنه من آثار سلبية تمسّ تحصيلهم العلمي، وتمتد إلى أبعادهم الاجتماعية والشخصية. وتكتسب هذه الظاهرة خطورتها على وجه الخصوص إذا ما علمنا أنّ المحاضرة تُعدّ إحدى الطرائق التدريسية الأساسية لنقل المعارف من الأستاذ إلى الطالب وفق منهج دراسي محدّد، سواء أقيمت في المدرّجات أم في قاعات التدريس.

ويُلاحظ في هذا السياق حرص بعض الطلبة على الانتظام في حضور الأعمال التطبيقية، في مقابل ارتفاع ملحوظ في نسب الغياب عن المحاضرات، وعدم الالتزام بالأوقات الرسمية المقرّرة في الجداول الزمنية المعتمدة من قبل الإدارة. وتتكرّر هذه الظاهرة عبر مختلف السداسيات في مرحلتي الليسانس والماستر، وتتحكّم في تفاقمها أسباب متعدّدة ومتشابكة؛ منها ما يرتبط بالطلبة أنفسهم، ومنها ما يعود إلى الأستاذ الجامعي، أو إلى طبيعة المنهاج الدراسي، فضلا عن عوامل أخرى تسهم مجتمعة في ترسيخ هذه الظاهرة، الأمر الذي يجعلها قضية تربوية تستوجب الوقوف عندها ملياً، وتأمّل أسبابها، والبحث الجاد في انعكاساتها وسبل معالجتها.

يُضاف إلى ما سبق حالات أخرى ألقت بظلالها الثقيلة على الواقع النفسي والاجتماعي والاقتصادي لأفراد المجتمع بوجه عام، وكان الطلبة جزءاً لا يتجزأ من هذا السياق شبه المتأزّم. وقد انعكس هذا الوضع سلباً على منظومة القيم وترتيب الأولويات، بحيث تراجعت مكانة الدراسة وتحصيل العلم والمعرفة في سلّم الاهتمامات، مقابل تصاعد الانشغالات المعيشية والضغوط اليومية.

وانطلاقاً من هذا الواقع، جاءت هذه المداخلة للإجابة عن تساؤل: ماهي أسباب وعوامل غياب الطالب الجامعي عن المحاضرات؟ وتأتي الإجابة عنه سعياً إلى تشخيص أسباب هذه الظاهرة والكشف عن خلفياتها المتعددة، في محاولة علمية جادة لاقتراح معالجات عملية ناجعة من شأنها الإسهام في الحد من آثارها السلبية، وإعادة الاعتبار للدراسة بوصفها ركيزة أساسية في بناء الفرد والمجتمع.

1. مفهوم الغياب:

1.1. في اللغة:

مما ورد في معنى الغياب في معاجم اللغة "غاب التلميذ: تخلف عن الحضور، خلاف شهد وحضر" طال غيابك عنا – رعى أولاد جاره في غيبته". وغابت الشمس: اختفت، غربت واستترت عن العين. غاب عن بلاده: سافر. وغاب عن فلان الأمر: خفي. غاب عن العيون: اختفى عن الأنظار. غاب عن الساحة: اختفى نشاطه"¹. ويُستفاد من تتبّع دلالات لفظ الغياب أنه مفهوم جامع يقوم أساساً على معنى الانقطاع وعدم الظهور، سواء أكان ذلك بالحضور الجسدي أم بالفعل أو التأثير. فالغياب يدلّ على التخلف عن الحضور والمشاركة، كما في غياب التلميذ، ويُحيل كذلك إلى الاختفاء والاستتار، مثل غياب الشمس عن الأنظار، أو الخفاء وعدم الإدراك، كما في غياب الأمر عن الفهم. ومن ثمّ، فإنّ الغياب لا يقتصر على البعد المكاني فحسب، بل يتّسع ليشمل غياب الفعل، أو التأثير، أو الوعي، وهو ما يمنحه بعداً دلالياً مركّباً يتجاوز مجرد عدم التواجد إلى تعطلّ الدور والانفصال عن السياق.

2.1. في اصطلاح العلوم:

يعرف الغياب في الفلسفة بأنه "ضد الحضور والشهود، وهو أن لا يوجد الشيء في المحل الذي يعد وجوده فيه طبيعياً، أو سوياً، أو عادياً"² وفي علم النفس "هو الذهول؛ أي غيبة القلب عن علم ما يجري حوله، نتيجة فقدان التكيف وتراخي الانتباه الإرادي"³. يُظهر تعريف الغياب في كلّ من الفلسفة وعلم النفس أنّه مفهوم مركّب يتجاوز الدلالة السطحية لعدم الحضور المادي. ففي تصوّر الفلسفي، يُفهم الغياب بوصفه نقيضاً للحضور والشهود، ويتجلّى حين لا يوجد الشيء في الموضع الذي يُفترض أن يكون وجوده فيه طبيعياً أو سوياً أو معتاداً، بما يعني خلافاً في العلاقة بين الذات ومجالها الطبيعي. أمّا في علم النفس، فيحيل الغياب إلى حالة ذهول داخلي تتمثّل في غيبة الوعي أو القلب عمّا يجري في المحيط، نتيجة ضعف التكيف وتراخي الانتباه الإرادي.

واستنادا إلى ذلك، يمكن استنتاج أنّ الغياب ليس مجرد ابتعاد مكاني، بل هو حالة وجودية ونفسية تتجلى في انقطاع الصلة بالسياق، سواء أكان هذا الانقطاع جسديا أم ذهنيا، وهو ما يضفي عليه أبعادا أعمق تمسّ الوعي، والتفاعل، والفاعلية داخل المحيط.

وينظر علم الاجتماع إلى ظاهرة الغياب على أنها "الانقطاع عن العمل أو عدم حضور العمال إلى العمل في الأيام المقرر قيامهم بالعمل فيها. وذلك بصفة اختيارية أو إجبارية. ويرى المشتغلون بالإحصاء أنّ الغياب يجب أن لا يتضمن الغياب بسبب الإجازات السنوية أو الإضراب أو التوقف عن العمل. ويقال غياب مُصرّح به وغياب مبرر، وغياب بدون مبرر"⁴. يبرز المنظور السوسيولوجي للغياب أنّه سلوك اجتماعي يرتبط أساسا بالانقطاع عن أداء الدور الوظيفي، ويتمثل في عدم حضور الأفراد إلى أماكن عملهم في الأوقات المقررة، سواء كان ذلك بدافع اختياري أم نتيجة ظروف قهرية. ويُميّز هذا التصوّر بين الغياب بوصفه ظاهرة قابلة للتحليل الاجتماعي، وبين أشكال الانقطاع المنظمّ أو المشروع التي لا تُعدّ غيابًا بالمعنى الدقيق، كالإجازات السنوية، أو الإضراب، أو التوقّف الرسمي عن العمل، وهو ما يؤكّده المختصّون في الإحصاء عند ضبط المفهوم إجرائيًا.

ومن هذا المنطلق، يتّضح أنّ الغياب يُصنّف وفق درجة مشروعيته وأسبابه إلى غياب مُصرّح به، وغياب مبرّر، وغياب غير مبرّر، الأمر الذي يجعل منه ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد تنظيمية وسلوكية، لا تُقاس فقط بعدد الأيام الضائعة، بل بما تعكسه من مستوى الالتزام، والتكيف، وطبيعة العلاقة بين الفرد والمؤسسة.

أما في المجال التربوي التعليمي يقصد بالغياب عدمُ التزام المتعلّم (الطالب) بالحضور المنتظم إلى المؤسسة التعليمية خلال الأيام الدراسية المحدّدة، دون الاستناد إلى مبررات قانونية أو طبية واضحة. ويُعدّ هذا السلوك من الإشكالات التي تؤثر سلبا في السير العادي للعملية التعليمية، لما ينطوي عليه من إخلال بواجبات التعلّم والانضباط المدرسي. وينقسم الغياب، من حيث طبيعته وأسبابه، إلى غياب مبرّر يكون ناتجا عن ظروف صحية أو عائلية طارئة، ويتمّ قبوله بعد إشعار إدارة المؤسسة والحصول على موافقتها، وغياب غير مبرّر يحدث دون إذن رسمي وغالبا ما يتّسم بالتكرار. ويُنظر إلى هذا النوع الأخير بوصفه الأخطر، لما يخلّفه من آثار سلبية تمسّ التحصيل العلمي للطالب، وتنعكس على سلوكه وتكيفه المدرسي، فضلا عن تأثيره في التوازن العام للمجتمع التعليمي ومردوديته. حيث يرى كثير من الدارسين أنّ الإصغاء الواعي، والحضور الذهني الفعّال للطالب بوصفه محور العملية التعليمية داخل المحاضرة، يشكّلان ركيزة أساسية في تيسير

استيعاب مضامينها وترسيخ أفكارها الجوهرية. كما أن عملية تدوين الملاحظات ليست فعلا آليا، بل ممارسة فكرية تقوم على التحليل والاستنباط، وهي شرط لا غنى عنه لتحقيق تكوين علمي رصين. وعليه، فإن اعتماد أسلوب السرد أو الإملاء في التدريس لا يبرز الانسحاب أو الغياب، إذ يظلّ التفاعل والحضور الإيجابي واجبا تربويا لا غنى عنه.

2. أسباب غياب الطلبة عن المحاضرات:

إنّ الدوافع التي تقف وراء ظاهرة غياب الطلبة عن المحاضرات لا يمكن ردها إلى عامل واحد بعينه، بل تتشابه فيها جملة من الأسباب المتعددة والمتداخلة، التي قد تكون ذات طابع شخصي أو أكاديمي أو اجتماعي أو نفسي. فبعضها يرتبط بالطالب نفسه، من حيث الدافعية نحو التعلّم، أو القدرة على التكيف مع متطلبات الحياة الجامعية، في حين يعود بعضها الآخر إلى طبيعة المناهج وطرائق التدريس، أو إلى الظروف المحيطة بالمؤسسة التعليمية. كما قد تسهم عوامل خارجية، كالأوضاع الأسرية أو الاقتصادية، في تعزيز هذا السلوك. ومن ثمّ، فإنّ غياب الطلبة يُعدّ نتيجة مركّبة لمجموعة من المؤثرات المتفاعلة، لا ظاهرة معزولة يمكن تفسيرها بسبب واحد أو ظرف طارئ.

1.2. الأسباب الذاتية:

1.2.1. أ. غياب الأسس القيمية وضعف الالتزام:

يُعدّ ضعف المنظومة القيمية وغياب حسّ الالتزام والمسؤولية لدى بعض الطلبة من العوامل الجوهرية المؤدية إلى الغياب الجامعي. فالطالب الذي لا يستبطن قيمة العلم ولا يدرك أهمية الانضباط في المسار الأكاديمي، غالبا ما ينظر إلى الحضور بوصفه أمرا ثانويا يمكن الاستغناء عنه. كما أن تراجع قيم الجدية والمثابرة والانتماء للمؤسسة التعليمية ينعكس سلبا على السلوك الدراسي، ويؤدي إلى فتور الدافعية وضعف الارتباط بالمحاضرات⁵. وقد أكدت الدراسات التربوية أن البناء القيمي للمتعلم يمثل أساسا حاسما في تشكيل سلوكه التعليمي ومدى التزامه بالحضور والمشاركة الفعّالة.

1.2.2. ب. ثانيًا: الأسباب المادية والاقتصادية

تُعدّ الظروف المادية الصعبة من أبرز الأسباب التي تدفع بعض الطلبة إلى التغيب عن المحاضرات، إذ يضطرّ عدد منهم إلى الجمع بين الدراسة والعمل من أجل تلبية احتياجاتهم الأساسية أو دعم أسرهم. وغالبا ما يكون العمل، خاصة إذا كان بدوام طويل أو في ظروف مرهقة،

على حساب الحضور المنتظم والتركيز الأكاديمي. وقد أشارت بحوث عديدة إلى أن الضغوط الاقتصادية تؤثر مباشرة في المسار الدراسي للطلبة، وتسهم في ارتفاع معدلات الغياب والتسرب، خصوصا في البيئات التي تفتقر إلى أنظمة دعم اجتماعي فعالة.

1.2.ج. لأسباب الصحية

تمثل المشكلات الصحية سببا قهريا من أسباب الغياب، إذ إن المرض يُعدّ عاملا خارجا عن إرادة الطالب، ويؤثر بشكل مباشر في كفاءته الجسدية وقدرته على الحركة والتركيز الذهني. فالحالة الصحية المتدهورة قد تحول دون حضور المحاضرات بانتظام، كما قد تقلل من القدرة على الاستيعاب والمشاركة حتى في حال الحضور الشكلي. وتؤكد الأدبيات التربوية أن الصحة الجسدية والنفسية شرط أساسي لتحقيق التعلّم الفعّال، وأن إهمال هذا الجانب ينعكس سلبا على الأداء الأكاديمي العام.

1.2.د. الأسباب النفسية والأسرية:

لا تقلّ العوامل النفسية شأنًا عن غيرها في تفسير غياب الطلبة، إذ إن افتقاد الطالب لجوّ أسري مستقر ومتوازن قد يولّد مشاعر القلق، والتوتر، وانخفاض تقدير الذات، ما ينعكس على دافعيته للحضور والمثابرة. فالأسرة تمثل الحاضنة الأولى للدعم النفسي والاجتماعي، وأي خلل في هذا الإطار قد يدفع الطالب إلى الانسحاب أو العزوف عن الالتزام الدراسي. وقد بيّنت دراسات علم النفس التربوي وجود علاقة وثيقة بين الاستقرار الأسري والصحة النفسية من جهة، وبين الانتظام الدراسي والتحصيل الأكاديمي من جهة أخرى⁶.

2.2. أسباب متعلقة بالأستاذ المحاضر:

يؤدي تخلف الطالب عن حضور محاضراته إلى خسارة معرفية وتكوينية جسيمة، إذ يُفوّت عليه رصيّدًا وافرًا من المعلومات والخبرات التي لا يمكن للكتاب وحده أن يعوّضها أو ينهض بعبء إيصالها على الوجه الأكمل. فالمحاضرة ليست مجرد نقلٍ لمحتوى مكتوب، بل هي فضاء حيّ للتعلّم والتدريب، يتكامل فيه الشرح مع النقاش، وتنبّطور فيه المفاهيم عبر التفاعل المباشر مع الأستاذ والزملاء. كما أنّ حضور الطالب داخل القاعة وما يصاحبه من حوار وتبادل للأفكار يسهم إسهامًا فاعلًا في تعميق فهم المادة العلمية، وفي بناء شخصيته الأكاديمية وصقل مهاراته الفكرية والتواصلية. ويبرز هنا الدور المحوري للأستاذ المحاضر الكفء، الذي لا يكتفي بعرض المعرفة، بل

يوجّه طلبته إلى أنسب أساليب الدراسة، ويحرص على تنويع طرائق التدريس والتقويم، فضلاً عن قدرته على خلق مناخ صفّي إيجابي قائم على الدعم والتحفيز وبعث الثقة.

ومن جهة أخرى، فإنّ صلاح الجامعة وتقدّمها لا يُفرض عليها من خارج أسوارها، بل يتشكّل أساساً من داخل بنيتها، عبر ترسيخ أخلاقيات العمل الأكاديمي وتعزيز روح العلمية والمسؤولية لدى أعضاء هيئة التدريس. فالأستاذ الجامعي مدعوّ إلى أن يُجسّد، في شخصه وسلوكه، القيم الفكرية والأدبية التي تتّخذها الجامعة عنواناً ورسالة، وأن يكون قدوة في الالتزام والعطاء. والجامعة، بوصفها منبعاً للعلم ومصدراً للمعرفة، لا تؤتي ثمارها إلا بقدر ما يهبها منتسبوها. وعلى رأسهم الأساتذة؛ من إخلاص وولاء وتفان في توظيف قدراتهم لخدمة رسالتها العلمية والتربوية.

ويشير بعض الباحثين إلى "أن البرامج الإرشادية التي يساهم بها تدريسيو الجامعة للطلبة تسهم في تحسن مستوى تعلمهم وتقلل من احتمالات التسرب وترك الدراسة، وتزيد من تحصيلهم الدراسي واتجاهاتهم الإيجابية نحو العمل الأكاديمي، وتدفعهم للاشتراك في النشاطات اللامنهجية، وتقلل من مستوى القلق لديهم"⁷. في حين أنّ الأستاذ الذي يفتقد الانسجام مع ذاته، أو يعاني ضعف التوافق مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، قد يُلحق بطلبته أضراراً تربوية ونفسية عميقة دون وعيٍ منه بخطورة ذلك الأثر. فالتفاعل اليومي داخل القاعة الدراسية لا يقتصر على نقل المعارف، بل يشكّل مجاًلاً تنتقل فيه الانفعالات والمواقف والسلوكات؛ إذ كثيراً ما تنعكس اضطرابات الأستاذ النفسية، وما يعتريه من قلق وتوتر، على أدائه التربوي وعلى طبيعة علاقته بالطلبة. وحين يطغى عليه الغضب أو الانفعال، ويتّسم سلوكه بالحدة أو العبوس أو العدائية والعصبية، فإنه يخلق مناخاً مشحوناً بالتوتر والاضطراب، من شأنه أن يزعج الطلبة ويؤثّر سلباً في توازنهم النفسي، بل وقد يعيد تشكيل نظرهم إلى التعلم والحياة الجامعية بوجه عام⁸.

ومثل هذا المناخ غير الصحي لا يلبث أن ينعكس على دافعية الطلبة، فيدفعهم تدريجياً إلى النفور من الأستاذ، ومقاطعته، والتهرب من حضور محاضراته، بما يحمله ذلك من آثار سلبية على تحصيلهم العلمي وانخراطهم الأكاديمي. وقد شهد الواقع الجامعي شواهد عديدة تؤكّد هذا المعطى، إذ تتكرّر شكاوى الطلبة من أنماط سلوكية متوترة أو غير متزنة تصدر عن بعض الأساتذة، ما يبرز الحاجة الملحة إلى وعي تربوي ونفسي أعمق بدور الأستاذ بوصفه نموذجاً مؤثّراً، لا في بناء المعرفة فحسب، بل في تشكيل المناخ الوجداني والسلوكي داخل المؤسسة الجامعية.

ويمكن ردّ الأسباب المرتبطة بالأستاذ المحاضر، والمؤثرة في تفاعل الطلبة وانتظامهم في الحضور إجمالاً، إلى جملة من الممارسات البيداغوجية والسلوكية التي تفتقر في مجملها إلى الفعالية والمرونة؛ إذ يتمثل ذلك في ضعف تشجيع الطلبة على المشاركة داخل المحاضرة، وغياب التفاعل والحوار البنّاء، إلى جانب قصور توجيه الملاحظات التربوية الهادفة. كما تسهم المعاملة الجامدة وضعف السلوك الاجتماعي للأستاذ في خلق مناخ صفي متوتر، يحدّ من انخراط الطلبة ويقلّص دافعيتهم للتعلّم. ويُضاف إلى ذلك عدم القدرة على إيصال المادة العلمية بوضوح ومنهجية، فضلاً عن الإفراط في تكليف الطلبة بالبحوث والواجبات دون مراعاة التوازن بين المتطلبات الأكاديمية وقدراتهم الزمنية والمعرفية. وتُفضي هذه العوامل مجتمعة إلى إضعاف العلاقة التعليمية داخل القاعة، وإلى توليد شعور بالضغط والنفور لدى الطلبة، بما ينعكس سلبيًا على تحصيلهم العلمي وعلى جودة العملية التعليمية بوجه عام.

3.2. أسباب متعلقة بعالم الإنترنت والمعلوماتية:

لقد أضحى عالم الإنترنت، بما يتيح من تدقّق معرفي هائل ووسائل رقمية جذّابة، عاملاً مؤثراً في سلوك الطلبة الجامعيين وانتظامهم في حضور المحاضرات. فقد أسهمت سهولة الوصول إلى المراجع الإلكترونية، والمحاضرات المسجّلة، والملخصات الجاهزة، في ترسيخ قناعة لدى بعض الطلبة بإمكانية تعويض الحضور الفعلي بالاكْتفاء بالمحتوى الرقمي، الأمر الذي أضعف ارتباطهم بالقاعة الدراسية وأفقد المحاضرة التقليدية جزءاً من جاذبيتها. كما أن الاستخدام المفرط لوسائل التواصل الاجتماعي ومنصّات الترفيه الرقمية يستنزف وقت الطلبة وتركيزهم، ويخلق لديهم نوعاً من الإدمان المعرفي السريع، الذي يتنافى مع متطلبات الانضباط والمواظبة الأكاديمية.

ومن جهة أخرى، لا يقتصر أثر الإنترنت على الجانب المعرفي فحسب، بل يمتد إلى البعد النفسي والسلوكي؛ إذ يكرّس ثقافة الاستسهال والاعتماد على المعلومة الجاهزة، ويضعف مهارات الإصغاء والمناقشة والتفاعل المباشر داخل المحاضرة. كما يسهم في إعادة تشكيل تصوّر الطلبة لدور الأستاذ، الذي قد يُنظر إليه أحياناً بوصفه ناقلاً لمحتوى متاح سلفاً عبر الشبكة، لا بوصفه موجّهاً وميسراً للفهم العميق. وبذلك تتحوّل الإنترنت، في ظل غياب توظيف تربوي رشيد، من أداة داعمة للتعلّم إلى عامل غير مباشر في تفشّي ظاهرة الغياب، بما يفرض على الجامعة إعادة التفكير في أساليب التدريس، ودمج التكنولوجيا دمجا واعيا يعزّز الحضور الفعلي بدل أن يقوّضه.

4.2. أسباب متعلقة بمرونة القوانين والقرارات:

يُعدّ حضور الطالب للمحاضرات عنصراً أساساً في إنجاح العملية التعليمية الجامعية، لما تمثّله المحاضرة من فضاء منظم لبناء المعرفة، وتوضيح المفاهيم، وربط الجوانب النظرية بالتطبيقية. غير أنّ مسألة إلزامية الحضور تظلّ موضع نقاش داخل المنظومة الجامعية، إذ غالباً ما تُترك لتقدير الفرقة البيداغوجية بالتنسيق مع رؤساء الأقسام، وفق ما تراه مناسباً لطبيعة التخصص ومستوى الطلبة ومتطلبات التكوين⁹. وفي هذا السياق، تميل كثير من الفرق التربوية إلى تبني قدر من المرونة في التعامل مع حضور المحاضرات، تفادياً لإثارة سخط الطلبة أو توتير العلاقة البيداغوجية معهم.

وانعكاساً لهذا التوجّه، تقتصر إلزامية الحضور في معظم الأحيان على الحصص التطبيقية والأعمال الموجّهة، باعتبارها أنشطة تعتمد أساساً على التفاعل المباشر، والإنجاز العملي، والتقويم المستمر، ولا يمكن تعويضها بالحضور الشكلي أو بالمطالعة الذاتية. أمّا المحاضرات، فيُنظر إليها – ضمنياً – على أنّها قابلة للتعويض عبر المراجع والمخصّصات، وهو تصوّر يُسهم، من جهة، في تعزيز ظاهرة الغياب، ومن جهة أخرى في إضعاف الدور التكويني للمحاضرة بوصفها ركيزة معرفية وتربوية. ويكشف هذا الواقع عن مفارقة بيداغوجية واضحة بين الإقرار النظري بأهمية المحاضرة، والتساهل العملي في ضبط حضورها، بما يستدعي مراجعة متأنية لسياسات الحضور، توازن بين مقتضيات الانضباط الأكاديمي واحترام استقلالية الطالب الجامعي.

5.2. أسباب متعلقة بالمنهج والمنهجية:

تُعدّ صعوبة فهم المادة الدراسية من أبرز العوامل المنهجية التي تُسهم في نفور الطلبة من حضور المحاضرات، إذ غالباً ما يُقدّم المحتوى العلمي بأسلوب تجريدي أو بلغة اصطلاحية معقّدة لا تراعي الفروق الفردية ولا الخلفيات المعرفية المتباينة للطلبة. ويؤدي هذا التعقيد إلى شعورهم بالعجز والإحباط، ما يضعف دافعيتهم للمواظبة على الحضور، ويجعلهم يبحثون عن بدائل أخرى يُعتقد أنها أكثر بساطة أو سرعة في الفهم.

ومن جهة أخرى، يفضي غياب توظيف الوسائل البيداغوجية الحديثة في التدريس إلى إضعاف جاذبية المحاضرة وفعاليتها؛ فالإكتفاء بالأساليب التقليدية القائمة على الإلقاء الأحادي يحوّل الطالب إلى متلقٍ سلبي، ويحدّ من تفاعله مع المادة. في حين تُسهم التقنيات الرقمية، والعروض التفاعلية، والوسائط المتعدّدة في تشويق الدرس، وتيسير الفهم، وربط المعرفة النظرية بواقعها التطبيقي، بما يعزّز حضور الطلبة وانخراطهم.

كما يمثل التعارض في توقيت المحاضرات عاملا تنظيميا ذا أثر مباشر في الغياب، إذ يجد الطالب نفسه أمام حصص متزامنة أو متقاربة زمنيا، ما يضطره إلى المفاضلة بينها، وغالبا ما يختار ما يراه أكثر أهمية أو أقل مشقة. ويكشف هذا الخلل عن ضعف في تنسيق الجداول الزمنية، وعدم مراعاة العبء الدراسي للطلاب، الأمر الذي ينعكس سلباً على انتظامه الأكاديمي.

ويُضاف إلى ما سبق تكرار مضامين المحاضرات وترديدها في أكثر من مقياس، دون مراعاة التكامل أو التمايز المعرفي بين الوحدات الدراسية، وهو ما يولد لدى الطلبة شعوراً بالملل وفقدان الجدوى. فحين يدرك الطالب أنّ المحتوى المعروض لا يضيف جديداً إلى رصيده المعرفي، تتراجع رغبته في الحضور، ويضعف تقديره لقيمة المحاضرة. وتبرز هنا ضرورة إعادة النظر في بناء المناهج وتنسيقها، بما يضمن التكامل والتجديد، ويجعل من المحاضرة فضاء حقيقيا للإضافة والتعلم النوعي.

6.2. أسباب أخرى متفرقة:

وتتعدد أسباب غياب الطلبة عن المحاضرات لتتجاوز العوامل الشخصية والأكاديمية، لتشمل عوامل خارجية ذات تأثير ملموس على القدرة على الحضور. من بين هذه الأسباب، تأتي الأسباب الأمنية في مقدمة العوامل المؤثرة، إذ يمكن أن يؤدي اندلاع الحروب أو تدهور الأوضاع الأمنية في البلد إلى خلق بيئة من القلق والخوف، ما ينعكس سلباً على قدرة الطالب على الانتظام في متابعة المحاضرات، ويؤثر كذلك على المجتمع بشكل عام من حيث الاستقرار الأكاديمي والاجتماعي. كما تلعب مسافة الجامعة من مكان إقامة الطالب دوراً مهماً في الغياب، حيث يشكل طول الطريق وضرورة التنقل المستمر عائقاً أمام الالتزام بالحضور، خصوصاً للطلاب الذين يقطنون مناطق بعيدة عن مركز التعليم الجامعي. ويتفاقم هذا التأثير في ظل تذبذب وسائل النقل العام والنقل الجامعي، سواء من حيث ندرة الرحلات أو عدم انتظامها، مما يزيد من صعوبة الوصول إلى الجامعة في الوقت المحدد ويؤدي إلى الغياب المتكرر.

خاتمة:

في الختام، يُمثل غياب الطلبة إحدى الظواهر التعليمية المستمرة على مر الزمن، والتي لا تقتصر على فترة معينة أو جامعة محددة، بل تتجلى في مختلف المؤسسات الجامعية والمجتمعات الأكاديمية. وتتنوع أسباب هذه الظاهرة بين ما هو مرتبط بالطلاب نفسه من دوافع شخصية أو سلوكية، وما هو مرتبط بالأستاذ أو المنهج الدراسي من حيث أسلوب التدريس أو صعوبة المحتوى

أو الملاءمة الزمنية للمحاضرات. وقد أظهرت الدراسات والأبحاث أن لهذه الظاهرة انعكاسات سلبية مباشرة على المستوى التحصيلي للطلبة، حيث تؤثر في تحصيلهم الأكاديمي وتقلل من فرص تفاعلهم الفعّال مع المعرفة. ومن هنا، برزت الحاجة الملحة لدراسة هذه الظاهرة بشكل معمّق، من أجل التعرف على أهم العوامل المؤثرة في غياب الطلبة، وتحليل دوافعه وآثاره، بهدف التوصل إلى حلول واستراتيجيات تعليمية تساهم في الحد من انتشاره وتعزيز الالتزام الأكاديمي، بما يحقق مصلحة الطالب والجامعة على حد سواء.

وتجدر الإشارة إلى أن تأثير هذه الأسباب يختلف من طالب إلى آخر، ويتباين من مستوى أكاديمي إلى آخر، ومن جامعة إلى جامعة، بل ومن بلد إلى آخر، ما يعكس تعدد السياقات والعوامل المؤثرة في ظاهرة الغياب. ويؤكد هذا التباين على أهمية مراعاة الخصائص الفردية والمؤسسية والجغرافية عند دراسة الظاهرة، لضمان تحليل دقيق واستنتاجات موثوقة وقابلة للتطبيق في سياقات مختلفة.

ونصل إلى بعض التوصيات للحد من غياب الطلبة وتعزيز الالتزام الأكاديمي وفق الآتي :

- * تعزيز روح المسؤولية والانضباط لدى الطلبة: تشجيع الطلاب على إدراك أهمية الحضور والمشاركة الفعّالة في المحاضرات، باعتبارها جزءاً أساسياً من نجاحهم الأكاديمي وتطوير مهاراتهم.
- * التوعية والمرافقة البيداغوجية: العمل على توجيه الطلبة وتوعيتهم بأهمية حضور المحاضرات، من خلال المرافقة المستمرة والدعم التربوي الذي يعزز التفاعل والمشاركة.
- * تأطير الأساتذة: تنظيم دورات تكوينية وملتقيات للأساتذة، خصوصاً أولئك الذين اعتادوا أساليب التدريس التقليدية، لمساعدتهم على مواكبة التغيرات في النظام الجامعي الجديد وتحسين طرق التعليم. وتحفيزهم على بذل الجهد وتقديم المعلومات بأسلوب جذاب وفعّال، مع التحلي بالجدية والمسؤولية، لضمان استفادة الطالب واستمتاعه بالدرس في الوقت نفسه.
- * تسجيل الحضور وتقييمه: اعتماد تسجيل حضور الطلبة في المحاضرات كمؤشر على الالتزام، وربطه بالتقييم الأكاديمي، لضمان تحفيز الطلاب على المشاركة الفعّلية.
- * ربط الامتحانات بالمحاضرة: صياغة الأسئلة التقويمية بناءً على ما يُشرح في المحاضرات، ورفع نسبة تنقيطها مقارنة بالأعمال الموجهة، لضمان ارتباط التقييم بحضور الطالب ومشاركته.
- * التقييم المستمر لأداء الأساتذة: إجراء تقييم دوري لأداء الأساتذة، بهدف تحفيزهم على رفع

مستوى التدريس وتحسين جودة العملية التعليمية.

* مرافقة الطالب في مساره التعليمي: دعم الطالب في عملية التعلم ومساعدته على بناء مساره التكويني، لضمان تنمية قدراته الأكاديمية والشخصية ضمن بيئة تعليمية محفزة وفعّالة.

الهوامش والإحالات:

- ¹ - أحمد عمر مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ط1، عالم الكتب القاهرة، 2008، ص: 1653.
- ² - جميل صليبيّا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص: 130.
- ³ - المرجع نفسه، ص: ن.
- ⁴ - أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص: 03.
- ⁵ - ينظر، عطية محسن علي: القيم التربوية وبناء الشخصية، ط1، دار الفكر، القاهرة، ص: 178.
- ⁶ - ينظر فوزي أحمد سمارة: قضايا تربوية معاصرة (د، ط) دار الطريق، عمان، 2008، ص: 87.
- ⁷ - نزيه حمدي، وعثمانة صلاح: علاقة ممارسة التدريس وبعض العوامل المتعلقة بالطالب برضا طلبة الكليات العلمية عن الحياة الجامعية، مجلة أبحاث اليرموك، مج15، ع04، جامعة اليرموك، 1999، ص: 135.
- ⁸ - محمود عبد الحليم منسي، وآخرون: المدخل إلى علم النفس التربوي، 2001، ص: 244.
- ⁹ - ينظر، القرار رقم 1165 مؤرخ في 04 أكتوبر 2025، يحدد كفايات التسجيل في التكوينات لنيل شهادتي الليسانس والماستر، ص: 08.